

التبيان في تفسير القرآن

(554) وقوله (فصدوا عن سبيل الله) أي صدوا نفوسهم وغيرهم عن سبيل الله التي هي الحق والهدى. وقيل: فصدوا عن سبيل الله من قبلهم بكفرهم. ثم بين تعالى ما لهم على ذلك فقال (فلهم عذاب مهين) يهينهم ويذلهم والاهانه الاحتقار يقال: اهانه يهينه إهانة، ومثله أذله يذله إذلالا واخزاه يخزيه إخزاء، ونقيضه الاكرام، ثم قال (لن تغني عنهم أموالهم) التي جمعوها (ولا أولادهم) الذين خلفوهم (من الله شيئا) يدفع عقابه عنهم، أغنى يغني عنى اذا دفع عنه دفعا يستغنى عنه. ثم قال (اولئك) مع هذا كله (اصحاب النار) أي الملامون لها (وهم فيها خالدون) مؤبدون لا يخرجون عنها (يوم يبعثهم الله جميعا) و (يوم) يتعلق ب (لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا.. يوم يبعثهم الله جميعا) يعنى يوم القيامة (فيحلفون له) أى يقسمون (كما يحلفون لكم) في الدنيا بأنهم كانوا مؤمنين في الدنيا في اعتقادهم وطنهم، لانهم كانوا يعتقدون أن ما هم عليه هو الحق (ويحسبون انهم على شيء) معناه يظنون أنهم على شيء في هذه الايمان. فقال الله تعالى (ألا انهم هم الكاذبون) فيما يذكرونه من الايمان والمعنى إنهم لم يكونوا مؤمنين على الحقيقة، وإنما كان اعتقادهم اعتقاد جهل. وقيل: معناه انهم (هم الكاذبون) في الدنيا. وقيل: معناه ألا إنهم هم الخائبون، يقال كذب طنه اذا خاب أمله. وقال قوم (ويحسبون انهم على شيء) يعنى في دار الدنيا، ولا يحسبون ذلك في الآخرة لانهم يعلمون الحق اضطرابا، وهم ملجئون إلى الافعال الحسنة وترك القبيح. قال الرماني: وهذا غلط، لانه مخالف لظاهر القرآن بغير دليل، قال والصواب ما قال الحسن في أن الآخرة مواطن يمكنون في بعضها من فعل القبيح، ولا يمكنون في بعض، ويكون كذبهم ككذب الصبي الدهش الذى يلحقهم.